قصة من البريقة

ها أنت ذا تجرجر قدميك وسط الرمال اللافحة، داخل المعتقل الذي يكتظ بآلاف المقهورين والمعذبين الجوعى ..

ولدت وسط أزيز الطائرات، ودوي المدافع، وهدير القنابل وزحف جحافل من البرص الأوباش نحو بلادك .. لم تعد تخشى شيئًا يومًا في حياتك، فقد تجرعت البؤس والشقاء والحرمان والجفاف، وأنت لم تكمل العقد الثاني من عمرك تمشي وسط هذا المعتقل تبدو مثل القط المذعور تتلفت يمينًا وشمالًا، تتراءى لك أشواط الخيام المتناثرة، داخل السياج الذي يمتد لمسافات كبيرة في الأرض السبخة، تصل إلى أنفك روائح الجثث المتفسخة، وتضع يدك على أنفك في ضيق.

شيخ مسن مررت به كان يطارد أسراب النمل، ويختطف منها حبات الشعير المحدودة، ثم ظل ينفخها بفمه وهي بين كفيه من أجل أن يطعم بها صغاره يا له من جوع قاهر وعدو

جائر، عند نهاية الأشواط كانت ثمة امرأة متقرحة الشفتين، وعند قدميها طفل صغير لا يتجاوز الخامسة من عمره يتشبث بها، وهو غارق في دموعه وصراخه من الجوع.

اقتربت منه وحملته بين يديك ووضعته على صدر أمه المصلوبة، التي كانت تهتف بك:

ـ فك قيدي حتى أستطيع إرضاعه.

اقتربت منها وفككت أغلالها، وما إن ألقمت الطفل الثدي حتى التهمه في شبق ونهم، وكف الطفل عن الصراخ، وعندما أردت أن تسألها عن عقوبتها، لم تفطن حتى كان ذلك الأبرص، يلهب ظهرك بالسوط اللاذع وهو ينهرك في غضب:

ـ سوف أصلبك مكانها أيها الأحمق.